لست أدري

لست أدري ما الذي ذكرني بها في ذلك اليوم، كنت منكسراً وحزيناً.. أعيد تركيب يوم فراقنا لحظة بلحظة كما لو أنني أشاهد فلماً في إحدى قاعات سينما عبر شاشة ضخمة، بدأت الكاميرا تقترب منا ببطءٍ شديدٍ إلى أن وصلت إلينا....

أصبح يتضح المشهد شيئاً فشيئاً... إلى أن اكتملت الرؤيا... في لقطة بانورامية... حيث نجلس معاً على كراسي بلاستيكية.. ننظر إلى مياه البحر التي ترى على حد العين.. كان البحر هائجاً والسماء ملبدة بالغيوم وكانت من حين لآخر تأتي رياح هوجاء.. كأنها تنذر بعاصفة ستأتي على الأخضر واليابس، بدأت تضيق مساحة رؤية وتقترب الكاميرا إلى أن أصبحت أمامنا وكأنها تختزلنا في لحظة معاً، بادرتها بالحديث... هيّا لنذهب لمكان آخر الجو هنا أصبح متقلباً، لم تنبس

ببنت شفة.. كنت أحس حينها أن الوضع لا يبشر بالخير... كل شيء كان كئيباً في ذلك اليوم المشؤوم قلت لها مالي أراك لا تتكلمين، أدارت ظهرها لي واتجهت بنظرها إلى الجهة الأخرى، بدأت الموسيقى التصويرية تتسارع وكأن طبول الحرب تُقرع... استعداداً للحظةٍ داميةٍ وعنيفةٍ، بدأت أفقد أعصابي... في أقل من ثانية عدت إلى رشدي لم أكن أريد التسرع... قلت لها: لك ما تريدين حتى وإن لم تريدي التحدث فهذا شأنك... هزت كتفيها غير مكترثة لكلامي، ساد الصمت بيننا رجعت الكاميرا للوراء قليلاً.. حل الهدوء لكنه الهدوء الذي يسبق العاصفة... فجأةً قالت بصوتٍ مخنوق واريث أرجوك أو حتى لا ترجوني أرحني من هذا العذاب لم أعد أحتمل لنفترق. قلت حينها ماذا لنفترق أتمزحين معي... حاولت تطويقها بين ذراعي لكنها أفلتت مني... قلت لها: أعرف أنك بارعة في التمثيل... لكنك لم تتقني الدور جيداً، نهضت من فوق الكرسي و

قالت لي بخشونة: اسمع يا هذا أنا لست ممثلة. قاطعتها ماذا..؟!!! هل أنت جادة في قولك، قالت لي: اسمع جيداً... كل شيء بيننا انتهى الآن.

أحسست بصدق كلامها.. وقفت مذهولاً لم أكن أصدق ما يحدث أمامي وكأنني أمثل دوراً ثانوياً لم أستطع احتواء الموقف وكأن الأحداث تتجاوزني، لكن يجب أن أفعل شيئاً... جذبتها من ذراعيها بعنفٍ لم أعهده في نفسي من قبل مثل أسد كاسر انقض عليها... كنت أسمع دقات قلبها وأنفاسها المتناثرة في الهواء..

****